ياعيل شطرنهل *

بين دعم إسرائيل والدعوة لدولة فلسطينية: التيارات المختلفة التي تصيغ موقف الولايات المتحدة أثناء حروب إسرائيل

بعد أسابيع على اندلاع الحرب بين إسرائيل وحماس، من الواضح أن الرد الأميركي على الحاصل غير مسبوق، ويعرّف على أنه مذهل، حتى من قبل خبراء رأي عام في الولايات المتحدة الأميركية. أقسام كبيرة من الجمهور الأميركي، بما يشمل الكثيرين ممن لم يبدوا بالمرة في السابق اهتمامًا بالصراع الإسرائيلي الفلسطيني، وجدوا أنفسهم في قلب عاصفة مشاعر هائلة. تجسد ذلك في التغطية الواسعة والصورية في جميع وسائل الإعلام المركزية، وكذلك في وسائل التواصل الاجتماعي التي غمرها سيل كبير من المعلومات عن الأحداث. الحرم الجامعي في عدد من أكثر الجامعات تأثيرًا عمته موجة من المظاهرات والمظاهرات المضادة، وكذلك المدن التي تقيم فيها مجموعات كبيرة من اليهود والمسلمين. لكن التعبير الأكثر أهمية لتأثير الحرب كان دخولها إلى الحيز الخاص لكثير من الأميركيين، الذين يتحدثون عن خصومات شخصية وتفكك صداقات بسبب اختلاف الآراء حول القضية. في ما عدا انتخاب دونالد ترامب للرئاسة، من الصعب التفكير بحدث أدى في العقود الأخيرة إلى انقسام الأميركيين أكثر من الحرب في غزة. أخذًا بالاعتبار للنزعة الأميركية التقليدية نحو الانغلاق في السياسة الداخلية، فإن مستوى الانشغال في الحرب التي لا يشارك فيها جيش الولايات المتحدة، هو مفاجأة ضخمة.

وفي واشنطن أيضًا، فإن اللامبالاة والابتعاد العلني الذي ميز سياسة إدارة بايدن نحو الصراع، أخلى

* بروفسور في التاريخ الأميركي جامعه تل أبيب.

■ تظاهرة حاشدة تطالب بوقف إطلاق الحرب على غزة في واشنطن دي سي في كانون الأول ٢٠٢٣. (جيتي ايماجز)

هذا سيهدد استقرار العالم برمته، ومن شأنه أن يمس بشدة بالولايات المتحدة أيضًا. أن الحضور الشخصي لبايدن وبلينكن في اجتماعات الطاقم الوزاري الإسرائيلي، الكابينيت، (وفقًا لمنشورات إسرائيلية، فإن بلينكن تلقى غرفة في مقر الجيش، «هكريا»، وطالب بأن يصادق شخصيًا بنفسه على صياغات قرارات الحكومة في أول أيام الحرب). هذه التحركات غير مشتقة فقط من المشاعر الدافئة وإنما بالذات وبالأساس من حقيقة أن الأميركيين لا يعتمدون على الحكومة المتطرفة وغير المسؤولة التي تحكم إسرائيل اليوم. إلى جانب ذلك، ضمن المنظومة الكبيرة والمعقدة للنظام الفدرالي، هناك أيضًا معارضة حقيقية لسياسة الدعم المقدم للرد الإسرائيلي ومحاولة تقويض سلطة حماس بواسطة عمل عسكري. بعد أيام على قرار نقل مساعدات طارئة إلى إسرائيل استقال من وظيفته جوش بول وهو موظف كبير في وزارة الخارجية الأميركية، بادعاء أن هذه الخطوة لا تتساوق مع القيم الأميركية. خلال بضعة أسابيع، وقّع ما لا يقل عن ٥٠٠ موظف في الإدارة الأميركية ينتمون إلى نحو ٤٠ وكالة فدرالية مختلفة على رسالة تدعو الرئيس إلى الدفع نحو وقف إطلاق نار ودخول مساعدات إنسانية لصالح الحاصل في إسرائيل وغزة يعكس بالتزامن ويعزز شروخات عميقة داخل المجتمع الأميركي، سواء بين الجمهوريين والديمقراطيين، أو في داخل المعسكر الديمقراطي نفسه. كل جهة تسقِط على الحرب الأيديولوجيات التي تحركها أيضًا في الجدل على قضايا داخلية، وبشكل عام من دون فهم التعقيدات العينية للصراع الإسرائيلي الفلسطيني.

في الجانب الأول من الجدل هناك جمهوريون يدعمون إسرائيل من طرف واحد ويرون فيها قاعدة متقدمة للديمقراطية الغربية، التي تقاتل حركات إسلام متطرف مثلما حاربت الولايات المتحدة القاعدة وداعش. إنهم يتقبلون السردية الرسمية لإسرائيل وكأن كل المحاولات لحل الصراع والوصول إلى اتفاق سلام قد فشلت بذنب الفلسطينيين. قسم منهم مدفوع بالتشكيك الأساسي والمتأصل تجاه المسلمين بكونهم مسلمين، وقسم متأثر من الانحياز الثقافي المتأصل لصالح دولة يرون فيها عقلانية ومتقدمة، خلافًا للفلسطينيين الذين ينظر اليهم كأغراب، فاشلين، وعنيفين.

مجموعة أخرى هي الجمهوريون المعتدلون والديمقراطيون من النوع الذي ينتمي إليه الرئيس جو بايدن. الدعم الأساسي لديهم لإسرائيل مدفوع

مصدر مهم إضافي للرؤى حول الحرب في غزة هو خطاب حقوق المواطن والنضال ضد العنصرية المؤسساتية. معارضو إسرائيل ينظرون إلى الحاصل في الحيز الواقع بين البحر والنهر بمصطلحات دولة فيها مجموعة إثنية تضطهد مجموعة إثنية أخرى وتحرمها من حقوقها الأساسية.

أحيانًا بالمعرفة العميقة بالتاريخ اليهودي والنظرة للصهيونية كحل وحيد لجموعة إثنية عانت من الملاحقة بأخطر أشكالها على مر التاريخ. إنهم واعون لسيطرة إسرائيل غير القانونية على ملايين الفلسطينيين المحرومين من الحقوق، ويعارضون سياسة حكومتها على مرّ السنين، لكنهم يستصعبون ترجمة هذه المدارك إلى عمل حقيقي. وسواء كان الأمر بشكل واع أم لا، فإن الكثيرين منهم يقبلون السردية الإسرائيلية وبموجبها أن الصراع «غير قابل» للحل، وبالتالي لا جدوى من الانشغال فيه. في الفترة الأخيرة، تلقى هذا الموقف تعبيرًا عبر المحاولة الأميركية لخلق اتفاق تطبيع بين إسرائيل والسعودية. الاتفاق الآخذ بالتبلور تأسس على شراكة المصالح بين إسرائيل، السعودية والولايات المتحدة، من دون التطرق بشكل حقيقي إلى القضية الفلسطينية. لقد رأت الولايات المتحدة في الاتفاق نافذة لخلق فرص اقتصادية وأمنية وتحسين المواقف في الصراع العالمي مع الصين. على الرغم من الدعم العلني في حكومة بايدن لحل الدولتين، فإن الاتفاق الذي بدأ تشكيله تجاهل الفلسطينيين، ولو كان قد طبق فسيمنح إسرائيل هدية هائلة دون مطالبتها بدفع الثمن على شكل تنازلات إقليمية أو التراجع عن مشروع الاستيطان.

المجموعة الثالثة هي ديمقراطيون تتوازى مواقفهم مع يساريين يهود في إسرائيل. إنهم يؤدون وجود إسرائيل كضرورة فرضتها ملاحقة اليهود في البلدان التي قطنوا فيها لكنهم يطالبون بالإنهاء الفوري للاحتلال والتوصل إلى حل عادل وثابت، سواء من خلال دولتين أو دولة كونفدرالية واحدة ذات حدود مفتوحة. هذا المعسكر الصغير -لكن المهم- ينتقد إسرائيل بشدة سواء على تعاملها مع الفلسطينيين في المناطق وكذلك على توجهات مناقضة للديمقراطية في معاملتها للأقلية الفلسطينية داخل إسرائيل، مثلما تتجلى في قانون القومية من العام ٢٠١٨. يضم هذا المعسكر كثيرين من المجتمع اليهودي، وبينهم حاخامات، مثقفون وصحافيون مؤثرون.

المجموعة الرابعة التي اقتحمت واجهة المنصة في الأسابيع الأخيرة هي كتلة في داخل الجمهور الديمقراطي تدعم الفلسطينيين وترفض تقبل إسرائيل بوصفها بيتًا قوميًا للشعب اليهودي. إن رؤى أعضاء هذه المجموعة متأثرة بشكل عميق من تاريخ الولايات المتحدة والعبر المستخلصة منها. إنهم يقيمون موازاة بين الصهيونية وبين الاستعمار الاستيطاني، حيث هناك مجموعة إثنية واحدة تتسلط وتهيمن على الأرض المستوطنة من قبل مجموعة أخرى، وتتعامل بحرمان ونهب مع السكان الأصليين. وحين ينظرون إلى إسرائيل- فلسطين فإنهم كمن يشاهدون دورة راهنة للتاريخ الأميركي القديم. لكن في حين أن وصول الأوروبيين إلى القارة الأميركية والقضاء على السكان الأميركيين الأصلانيين هو أمر لا يمكن إصلاحه، ففي غزة تجري اليوم عملية قتل جماعية لمجموعة أصلانية وهو قتل لا يزال بالإمكان منعه.

مصدر مهم إضافي للرؤى حول الحرب في غزة هو خطاب حقوق المواطن والنضال ضد العنصرية المؤسساتية. معارضو إسرائيل ينظرون إلى الحاصل في الحيز الواقع بين البحر والنهر بمصطلحات دولة فيها مجموعة إثنية تضطهد مجموعة إثنية أخرى وتحرمها من حقوقها الأساسية. في هذه المعادلة، اليهود في إسرائيل هم البيض والفلسطينيون هم السود، وحالة العلاقات بينهم توازي تلك التي سادت بين البيض والسود حتى العام ١٩٦٥، حين أدت ثورة حقوق

يتمتع اليسار التقدمي أيضًا بتمثيل في الكونغرس، من خلال سياسِيات ذوات كاريزما عالية مثل الكسندريا اوكزيو كورتيز، رشيدة طليب وإلهان عمر. طليب هي عضو الكونغرس الفلسطينية الأولى والوحيدة. على الرغم من أن الكونغرس استنكر تصريحها رسميًا وفرض عليها عقوبات بسبب استخدامها شعارًا خلافيًا مفاده "بين النهر والبحر، فلسطين ستكون حرة" فإنها تشكل رمزًا قويًا جدًا للفلسطينية الأميركية الحازمة وغير المعتذرة.

المواطن إلى إنهاء نظام الأبرتهايد الأميركي. هنا أيضًا من الجدير إجراء تمييز مهم بين من ينفون وجود دولة قومية يهودية ويطالبون بدلًا من ذلك بإقامة دولة ثنائية القومية بين البحر والنهر يمكن لليهود مواصلة العيش فيها، وبين من يطالبون باقتلاع اليهود من نطاق إسرائيل وعودتهم إلى الدول التي هاجر منها آباؤهم. هناك انقسام بشأن مسألة ما إذا كان بالإمكان رؤية أطياف لا سامية داخل هذه المجموعة، تتجلى في معاداة الصهيونية، لكن تظهر كراهية عميقة ومتجذرة أكثر نحو اليهود.

حتى من دون الدخول في دقائق المواقف المختلفة للمتظاهرين من أنصار الفلسطينيين، فإن الطاقة والتحمس الباديين في نشاطهم الجماهيري يعكس ثقة جديدة بالنفس، نابعة من عدة مصادر. الأول أنه قد تشكل في السنوات الأخيرة معسكر يسار أيديولوجي مهم، لديه أجندة مبلورة وإنجازات على مستوى الوعي. في صيف العام ٢٠٢٠ جرف هذا المعسكر جمهورًا هائلًا في الولايات المتحدة وفي أرجاء العالم إلى مظاهرات ضد عنف الشرطة بعد قتل الشاب جورج فلويد، رجل أسود اعتُقل بعد الاشتباه بأنه استخدم عملة ورقية مزيفة، وتمت إماتته بوحشية من قبل شرطي أبيض. صيف جورج فلويد، مثلما بات يُعرف، طرح على مسرح الجدل سؤال ما إذا كانت الولايات المتحدة في القرن الـ ٢١، على الرغم من رئاسة باراك أوباما، ما زالت دولة عنصرية في أساسها، وبُنى القوة فيها منظمة بما يهدف إلى منع السود من ممارسة حياة قوامها المساواة والكرامة. وعلى الرغم من أنه طرأ بمرور الوقت تراجع في الدعم الجماهيري لمطلب إجراء إصلاحات واسعة، فإن المظاهرات الضخمة في ذلك الصيف أعطت حقنة محفزة للنضال من أجل عدالة عرقية.

المعسكر التقدمي، مثلما يوصف، قاد أيضًا إلى تغيير في المواقف لدى جمهور واسع بشأن حقوق المثليين والمثليات والمسلّمات المتعلقة بالعلاقات بين الجنسين. وهو مسؤول عن تبني بنى للتغيير تعترف بالليونة الجندرية وأشكال التفكير الجديدة في علاقات القوة في المجتمع، والحاجة للعمل من أجل مختلف المركبات في المجتمع الأميركي واحتوائها. يتمتع اليسار التقدمي أيضًا بتمثيل في الكونغرس، من خلال سياسِيات ذوات كاريزما عالية مثل الكسندريا اوكزيو كورتيز، رشيدة طليب وإلهان عمر. طليب هي عضو الكونغرس الفلسطينية الأولى والوحيدة. على الرغم من أن الكونغرس استنكر تصريحها رسميًا وفرض عليها عقوبات بسبب استخدامها شعارًا خلافيًا مفاده «بين النهر والبحر، فلسطين ستكون حرة» فإنها تشكل رمزًا قويًا جدًا للفلسطينية الأميركية الحازمة وغير المعتذرة.

أخيرًا، فمن ينفون إمكانية الوجود القومي اليهودي في الحيز ما بين النهر والبحر يكسبون من التحرك نحو اليمين في السياسة الإسرائيلية التي تثبت، وفقًا لنهجهم، الادعاء بأن القومية اليهودية السيادية هي بالضرورة عنصرية وتقوم على نفي الوجود القومي الفلسطيني. من الصعب التنكر لحقيقة أن إسرائيل أعطت معارضيها في السنوات الأخيرة أسبابًا مشروعة للاعتقاد بأن الصهيونية تترجم بالفعل إلى عنصرية. الحكومة الحالية التي يشارك فيها مؤيدون متشددون لطرد الفلسطينيين ونهبهم، تبث رسالة واضحة بشأن هوية إسرائيل الراهنة.

إن خطوط الشرخ بين المجموعات متعلقة قبل كل شيء بالأجيال. داخل المعسكر الديمقراطي توجد فجوة هائلة بين مواقف الأميركيين البالغين ومواقف

لكن في ما يتجاوز الشرخ العمري، فإن العاصفة التي أحاطت بالحرب على غزة تعكس أيضًا الشروخ الأيديولوجية التي تقطع السياسة الأميركية في ما يخص السياسات الداخلية. الأميركيون منشغلون في السنوات الأخيرة على نحو حثيث في سؤال ما إذا كانت الولايات المتحدة في أساسها هي دولة عادلة تصبو إلى تطبيق قيم المساواة والحرية التي تظهر في وثائقها المؤسسة.

الشباب. في استطلاع للرأي أجري بعد الحرب بأسبوع، وقبل أن تبدأ الصور الفظيعة من غزة بملء الشاشات أجاب ٥١٪ من المستطلعين بين الأجيال ١٨-٢٤ أنه يمكن تسويغ هجوم السابع من أكتوبر بسبب تعامل إسرائيل مع الفلسطينيين. بينما في الفئة العمرية ٦٥ فما فوق هناك تماثل بنسبة ٩٪ فقط مع هذه المقولة. وفي استطلاع للرأي أجري بعد ما يقارب شهر على ذلك، أجاب ٧٠٪ من الأميركيين من الأعمار ١٨-٣٤ أنهم يعارضون سياسة إدارة بايدن نحو الحرب، في حين أنه في صفوف عمر ٦٥ فما فوق كان عدد المعارضين ٤١٪. هذه الفجوة الهائلة يمكن تفسيرها في حقيقة أن الأميركيين البالغين يتذكرون إسرائيل كدولة صغيرة ومهددة، وكملجأ للناجين من الهولوكوست الذين يحاربون على حقهم في العيش في دولة لا تتم فيها ملاحقتهم. وحتى الأميركيين في أجيال ٤٠ و-٥٠ ما زالوا يتذكرون إسرائيل التسعينيات، التي تتفاوض مع الفلسطينيين وتطمح للسلام.

أما الأميركيون الأكثر شبابًا فيعرفون إسرائيل فقط ما بعد اندلاع الانتفاضة الثانية، دولة غالبية مواطنيها فقدوا الثقة في احتمالات السلام وتقوم قيادتها بكل شيء لغرض إحباط إمكانية إقامة دولة فلسطينية. لكن التعبير الأكثر قوة للفجوات والشروخات العمرية هي المواجهة بين السناتور برني ساندرز ابن الـ٨٢ عامًا وبين أعضاء طاقمه. ساندرز هو المنارة الكبرى للمعسكر التقدمي، ومن كانت حملة دعايته الانتخابية عام ٢٠١٦ أحد أكبر وأهم المسرعات لتطور سياسة اليسار الجديدة. لكن في حين أن ساندرز عبّر عن صدمته من هجوم الإرهاب بتاريخ ٧ أكتوبر وجزم بأنه ليست هناك حاليًا حلول سهلة للمواجهة بين إسرائيل وحماس، فإن المئات من أعضاء الطواقم التي عملت معه على مدى سنوات في حملاته كتبت له رسالة علنية مفتوحة، مليئة بالغضب والإحباط، وطالبته فيها بالتعبير بما لا يقبل التأويل عن مطلب وقف إطلاق النار الإسرائيلي.

نتيجة هاتين السيرورتين المتوازيتين – تحوّل إسرائيل إلى صقرية ومعادية لليبرالية من جهة، وتحوّل الشباب الأميركيين إلى ليبراليين أكثر من جهة ثانية – قد خلقت الصدام الهائل بين إسرائيل والجيل الجديد من الأميركيين المصرّين على النضال ضدها. بالنسبة لمن يتابع الموقف من إسرائيل في الرأي العام الأميركي، فلن يجد هنا مفاجأة كبيرة. إن المتابعين المتمعنين قد لاحظوا هذا الشرخ وهو يتنامى وينشأ منذ سنوات طويلة. في العام ٢٠٢١ كتب الصحافي اليهودي الأميركي بيتر باينرت مقالًا مؤسسًا بعنوان The Failure of the American Jewish Establishment وأشار فيه إلى التوتر غير القابل للجسر بين الوجهة التي تسير فيها إسرائيل والليبرالية الأميركية. باينرت حذّر حينذاك من أن الجيل الشاب من الأميركيين لم يعد بوسعه التماثل مع إسرائيل بسبب التناقص العميق بين معتقداته وإيمانه بالمساواة وبين السياسة الإسرائيلية نحو الفلسطينيين في المناطق. في وقت سابق هذا العام وقبل اندلاع الحرب، نشرت للمرة الأولى معطيات تدل على أن غالبية الديمقراطيين يتماثلون مع الفلسطينيين أكثر مما يتماثلون مع إسرائيل.

لكن في ما يتجاوز الشرخ العمري، فإن العاصفة التي أحاطت بالحرب على غزة تعكس أيضًا الشروخ الأيديولوجية التي تقطع السياسة الأميركية في ما يخص السياسات الداخلية. الأميركيون منشغلون في السنوات الأخيرة على نحو حثيث في سؤال ما إذا

كانت الولايات المتحدة في أساسها هي دولة عادلة تصبو إلى تطبيق قيم المساواة والحرية التي تظهر في وثائقها المؤسسة، أم أنها دولة عنصرية بجوهرها تتفاخر بمبادئ زائفة في حين أنها فعليًا تقوم على استغلال واضطهاد الأقليات. هذا الجدل الوجودي يتسرب إلى دراسة التاريخ وقد أدى إلى تدخل سياسيين جمهوريين في مضامين التعليم في المدارس والجامعات العامة، وتطهير مكتبات من كتب يُنظر إليها على أنها نقدية أكثر من اللازم نحو الولايات المتحدة. الجدل حول جوهر إسرائيل كدولة قومية وعلى احتمال تغييرها من الداخل هي ترديد لصدى الأسئلة التي يطرحها الأميركيون بشأن دولتهم هم.

أخيرًا، فإن حدة الجدل العام حول حرب إسرائيل -حماس تتأثر مثلما في أي جدل آخر، من الشكل التي يتم فيها استهلاك المعلومات في هذه الفترة. بعد عشرين عامًا على ولادة الإعلام الجديد، بات من الواضح أنه يؤدي إلى التطرف السياسي وخلق «جدل بين طرشان» حيث يستهلك كل طرف فيه المعلومات التي تعزز من مواقفه ولا تشكك فيها. الأمر صحيح سواء أكان الحديث عن أسئلة حول قصص الفظائع يوم ٧ اكتوبر، أم المقارنات بين حماس والنازيين. إن منصات الأميركيين المناصرين للفلسطينيين مليئة بالصور الفظيعة من غزة والادعاء بان إسرائيل تمارس حرب إبادة. في غضون ذلك، تضيع تفاصيل كثيرة حول القصة الإسرائيلية-الفلسطينية مثلما تضيع أسباب الأمل في أنه يمكن لهذا الصراع أن يجد له حلًا سلميًا يومًا ما. يجب علينا العيش في إسرائيل وفلسطين وليس في الولايات المتحدة، مواصلة البحث عن طريقة للعيش هنا معًا بشكل يعترف بالطموحات القومية للجانبين، ويبقي مكانًا لحياة مشتركة. اليوم أيضًا، أنا أرفض التنازل عن هذا الطموح وأنا على قناعة بأنه من الممكن تحقيقه.

(ترجمه عن العبرية: هشام نفاع)